

أنا وأنتِ على الطريق

دور المرأة في المجتمع

صديقتي المستمعة العربية،

"عالمنا جزيرة صغيرة يعيش عليها اثنان . رجل وامرأة. وضعا اتفاقا يحدد لكل منهما دورا لا يتخطاه. ولا يتجاوزه. عاشا الاتفاق وتعايشا معه. لكن بقيتُ في الاتفاق مشكلة. إن الذي وضع بنوده هو الرجل. والذي حدّد صيغته هو الرجل. والشهود عليه كلهم رجال. لذلك أتى في صالحهم أكثر. ولم يكن أمام المرأة اختيار. ولم يكن لها القرار."

هذا الكلام للكاتب العربي هاني نقشبندي في مجلة سيدتي المعروفة. وتابع يقول تحت عنوان الجزيرة: "المرأة اليوم تريد أن تعدّل صيغة الاتفاق. تراه غير ملائم لعصر تطور وزمن تغير. فلم تعد هي تلك الجالسة في البيت. ولا الضعيفة في المجتمع. من أجل ذلك تقود المؤتمرات تنظم الندوات تحمل الشعارات مطالبة بتعديل الاتفاق. والرجل لا يريد. فهو يعلم أن الجزيرة صغيرة. لا يوجد عليها إلا اثنان. أحدهما فقط هو صاحب القرار."

نتابع صديقتي ما كتبه هاني نقشبندي في مقالته الجزيرة لنستمع إلى رأي الرجل في المرأة ومطالبها من وجهة نظره. فيقول أيضاً: "تطلب المرأة مشاركة أكبر. دورا أكبر وعدلا أكثر. في البيت في العمل وفي كل مكان. لم تعد ترضى البقاء في الصفوف الخلفية من مسرحية الحياة. ولا تريد أن تبقى مجرد شاهد على مسرحية لا تشارك فيها. مطالبها كثيرة ومتعددة. بعضها ممكن وبعضها مستحيل. ليس ذلك بسببها . ولا بسبب تعدد مطالبها في الماضي. أو الآن. مشكلة المرأة ليست في الزمان بل في المكان."

دخلنا ألفية جديدة ، يتابع الكاتب قائلاً : وسيدخل من يأتي بعدنا ألفية أخرى. لكننا سنبقى على نفس الجزيرة. والجزيرة صغيرة لا تحتل قائدين. قد لا تريد المرأة أن تكون قائدا لكنها لا تريد أن تكون تابعا. هي لا تريد الخروج عن الإتفاق. بل تطويره مع مجتمع تطور. ليضمن لها حياة أكثر أمناً. وأكثر عدلاً. الرجل يعدها بكل ذلك لكن الاتفاق لا يلزمه.

نحن الرجال نعلم أن الجزيرة صغيرة لا تحتل قائدين. لكن الجزيرة لا تحتل قائدا بل جيش. ولا رجل بلا امرأة.

فليبقِ الاتفاق أو فلينته. لكن الجزيرة لا تتطور بعقل واحد. كما الحياة لا تسير على قدم واحدة."

الجزيرة صغيرة لا تحتمل قائدين. وفي نفس الوقت الجزيرة لا تتطور بعقل واحد كما الحياة لا تسير على قدم واحدة. ما رأيك صديقتي بما شاركتك به عن الكاتب هاني نقشبندي؟ هل توافقيه قوله ، أم هل تخالفينه؟ أم بين بين؟

إنه يعترف ليقول: الرجل يَعِدُ المرأة بكل ما تطالب به، لكن الاتفاق لا يُلزمه. أي ليس هو بمجبر على فعل ذلك. فهل ما تطالب به النساء العربيات من تحسين لأوضاعهن على هذه الجزيرة الصغيرة على حد قول الكاتب بعيد المنال إذن؟ أم مستحيل؟

لا خلاف عليه البتة بأن المرأة العربية تطالب بحقوقها التي تعيش محرومة منها. فهي لا تترحم الرجل على القيادة ولا تتسابق معه في أخذ دوره ومركزه. إنما الحقوق الطبيعية التي تولد مع كل فرد هي محرومة منها خاصة في الأماكن المعزولة والبعيدة عن المدن. حقها في التعليم مثلا ، وحقها في التعبير عن نفسها، حقها في اختيار شريك حياتها ، وحقها في العمل وسمح الفرص لها فيه. هذه هي الحقوق التي تطالب فيها في مجتمعاتنا . ويخطيء البعض حين يتهم السيدات العربيات في أنهن أصبحن متحررات كمثيلاتهن في البلاد الغربية. فالفتاة أو السيدة العربية لا تحذو حذو مثيلتها في البلاد الغربية لأن الحركات النسائية الغربية قد جنحت في عرض مطالبهن في تلك البلاد تحت اسم الحرية .

لكن ما هو رأي الله تعالى يا سيدتي في هذا الموضوع؟ ألم يضع آدم وحواء منذ بداية الخليقة في جنة عدن ليعملاها ويحفظاها؟ بالتأكيد. لقد وضعهما هو على هذه البسيطة الجزيرة كما يدعوها الكاتب. وضعهما هناك ليعيشا معا في انسجام ووثام وسلام. وليس لكي يتنافسا أو يتسابقا على المركز والدور والقيادة والسلطة. فلقد منح لكل دوره وحقه في حياة هانئة مطمئنة وكان الله الخالق شركة معهما كليهما. لكن عندما وقعا في الخطية وعصيا أمره تعالى فقد كل منهما الشركة مع الله تعالى والعلاقة الطيبة. وعاقبهما الله إذ جعل الرجل هو السائد على المرأة وأمره بأنه من عرق جبينه يأكل. ولكن وبعد أن أتمَّ الله خطته في إرسال الفداء والخلص لبني البشر الذي وعد به شعبه في القديم ، تغير الحال من جديد. وأوضح الرب يسوع المسيح أي عيسى بن مريم ، بمجيئه ، بأن الرجل والمرأة هما واحد في نظره. ولا فرق بينهما. لكل دوره ومركزه ومسؤوليته بالطبع لكن هذا لا ينقص من قيمة ذلك. وعن طريق الفادي المسيح أعاد الله الصورة إلى ما كان يريد أن تكون منذ البداية. إذ تعامل مع كليهما على السواء. ولم يرفض طلب امرأة من أجل غفران خطاياها أو من أجل الشفاء بسبب أنها امرأة وليست رجلا. كلا البتة.

والسؤال الآن : هل يحافظ كل واحد منا الرجل والمرأة على دوره ياترى؟ أم أن الرجل مازال يسلب المرأة حتى من أهم حقوقها الشرعية؟ لنفحص أنفسنا أصدقائي على ضوء كلمة الله المقدسة المدونة في الإنجيل . عندها نعرف كيف نعيش على هذه الجزيرة بوئام وسلام وانسجام . فالله يريد أن يكون البيت أو أن تكون العائلة مترابطة متآلفة متآزررة وليس العكس . هو يريد أن يحب الرجل امرأته كما يحب نفسه . وهو يريد أن المرأة تهابه وتحترمه . فإذا أحب الرجل امرأته كما يريد الله أن يفعل فإنها لاشك لا تعود تطالب بحقوقها لأنه هو بالتالي وعن طريق محبته لها يمنحها حقها الواجب . ولن يكون هناك تنافس أو خلاف أو سباق . فهل نستطيع أن نعيش على هذه الجزيرة بتوافق؟ نحتاج إلى تغيير عقولنا وأذهاننا وقلوبنا من الداخل كيما يقدر أن ينظر الواحد منا للآخر النظرة الصحيحة.

فهل نطلب من الله أن يجري معجزة في قلوبنا؟
